

تتصاعد المشاعر فى مخيمات اللاجئين السوريين فى تركيا حيث تمتزج حرارة الجو مع صيام شهر رمضان والظروف المعيشية القاسية وما يقول اللاجئين إنها معاملة سيئة من جانب السلطات التركية.

وقالت أم عمر غاضبة وهى تجلس مع أطفالها الأربعة بعد أن اختنقوا بالغاز المسيل للدموع الذى أطلقته قوات شرطة مكافحة الشغب التركية لتفريق شجارات على توزيع الطعام فى مخيم كيليس يوم الأحد "انفطرت قلوبنا.. لماذا يفعلون هذا معنا؟".

وقالت وهى تشكو من عدم كفاية وجبة الإفطار "نحن صائمون".

واندلعت الشجارات فى مخيمات أخرى هذا الأسبوع بين اللاجئين وكذلك بينهم وبين قوات الأمن التركية وهو ما يسلط الضوء على واحد من التحديات العديدة التى تواجهها تركيا نتيجة للصراع المستعر فى سوريا المجاورة منذ 16 شهرا.

وقد تتفاقم هذه التحديات وربما تجبر تركيا على تغيير سياستها التى تتضمن حاليا خليطا من السماح باستقبال اللاجئين وإيواء المنشقين على الجيش السورى وتعزيز الوحدة بين المعارضة السورية المنقسمة والسماح بهدوء بمرور التمويل الأجنبى والسلاح للمعارضة المسلحة التى تسعى إلى إسقاط الرئيس السورى بشار الأسد.

وتقول تركيا إن 70 ألف سوري عبروا الحدود لكن 26 ألفا منهم عادوا مما يجعل عدد اللاجئين السوريين فى تركيا 46 ألفا يعيشون فى ثمانية مخيمات تصطف فيها الخيام وفى كيليس التى يقيم فيها 12 ألفا فى صفوف من المنازل الجاهزة وراء جدار معدنى مرتفع تعلوه الأسلاك الشائكة.

وتستطيع تركيا حتى الآن التعامل مع هذه الأعداد من اللاجئين على الرغم من المشكلات التى تقع بين الحين والآخر، لكن تصاعد موجة مفاجئة من القتال هذا الأسبوع فى مدينة حلب الشمالية - على بعد 50 كيلومترا فقط من الحدود مع تركيا - يشير إلى مخاطر نزوح موجة ضخمة من اللاجئين.

وانتقل سكان وجدوا أنفسهم وسط المعارك فى حلب - العاصمة التجارية الضخمة لسوريا - إلى مناطق أكثر أمنا فى المدينة التى يقطنها نحو أربعة ملايين نسمة بدلا من التوجه إلى تركيا.

وقبل أقل من عشرين عاما فر مئات الآلاف من الأكراد العراقيين إلى الجبال التركية بعد حرب الخليج عام 1991 خوفا من هجوم محتمل لقوات صدام حسين بالغازات السامة.

وفى ذلك الحين لجأت تركيا لحلفائها الغربيين الذين فرضوا حظرا للطيران فوق شمال العراق بما يسمح للاجئين بالعودة.

وفى الأزمة السورية أشارت تركيا أكثر من مرة إلى أنها قد تعمل لمنع أى موجة ضخمة من اللاجئين لكنها لم تعلن عن الإجراءات التى قد تتخذها ماعدا السعى للحصول على موافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أو على الأقل تأييد حلفائها فى حلف شمال الأطلسى لأى شكل من أشكال التدخل.

وشددت تركيا من إجراءاتها العسكرية على الحدود بعد أن أسقطت سوريا طائرة حربية تركية فى ظروف متنازع عليها الشهر الماضى لكنها لم ترد على هذا الحادث بشكل مباشر.

وقال مسئول تركى طلب عدم الكشف عن هويته "المنطقة العازلة والممرات الإنسانية والملاذ الآمن كلها أفكار

غامضة ستتطلب قرارات دولية، "لا شك أن عدوانا من جانب سوريا قد يكون نقطة تحول أو موجة هائلة من اللاجئين، والسيناريو الآخر هو الانهيار الكامل للنظام في سوريا، سنعيد النظر في إجراءاتنا على طول الحدود لحمايتهم".

وفي الوقت الحالي يبدو الزعماء الأتراك قلقين لكنهم يركزون بشكل أكبر على التعامل بشكل أفضل مع اللاجئين الذين تستضيفهم تركيا بالفعل.

وقال بشير اتالاي نائب رئيس الوزراء، الثلاثاء، بعد مناقشة مسؤولين كبار في أنقرة مشكلة اللاجئين والاضطرابات التي وقعت في الآونة الأخيرة في المخيمات "لا نتوقع أي موجة غير عادية. لكننا نتخذ الاحتياطات في حالة وقوع مفاجآت".

وبعد عقود من العلاقات المتوترة نجح رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في تحسين العلاقات مع سوريا حتى تجاهل الأسد نصيحته العام الماضي بتخفيف حدة الانتفاضة بإصلاحات جذرية وبدلاً من ذلك أرسل دباباته لإخماد الاحتجاجات المناهضة له.

وانضمت تركيا إلى عديد من الدول الغربية والعربية في مطالبة الأسد بالرحيل وتشعر بخيبة الأمل لغياب التوافق الدولي على هذا المطلب مع معارضة روسيا والصين وإيران والعراق لأي انتقال للسلطة في سوريا بالقوة.

وقال مسئول تركي آخر طلب عدم الكشف عن هويته "بصراحة لا أظن التحول الدبلوماسي محتملاً في الوقت الحالي حتى على الرغم أن تركيا تأمل ذلك وتسعى إليه".

وأضاف "وجهة نظري الشخصية هي أننا سنرى نهاية عنيفة للصراع لكن حتى هذه اللحظة لا أرى أي رغبة في التدخل من تركيا أو من أحد غيرها".

وسيتوقف الأمر كثيراً على نوع الحكومة التي تنشأ في النهاية من الحرب الأهلية في سوريا، حيث من المتوقع أن تتصدى جماعات المعارضة المتسيدة على الأرض لأي محاولة لمعارضين سوريين يقبلهم الغرب في المنفى لتولى السلطة.

كاتب المقالة :

تاريخ النشر : 26/07/2012

من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfaraq.com